

خطبة الجمعة - الخطبة ١٠٦٧ : خ ١ - أسباب زيادة الرزق ٥ (التقوى - التوحيد - الصدق - الاقتصاد)
. خ ٢ : الاقتصاد في المعيشة .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٨-٠٣-١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

الحمد لله نحمده، ونستعين به، ونستترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا نجات له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله، سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صلِّ وسلم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، وعلى ذريته ومن والاه، ومن تبعه إلى يوم الدين، اللهم علما ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

مقدمة لأسباب زيادة الرزق :

أيها الإخوة الكرام، لازلنا في سلسلة خطب تتمحور حول الرزق، ولأنَّ حرص الإنسان على حياته وعلى رزقه حرص لا حدود له لذلك أردت . والله الموفق . أن أربط بين طاعة الله واتباع سنة نبيه وبين تطبيق منهجه وتحقيق حاجات الإنسان الأساسية، فحينما يتوجه الدين إلى معالجة مشكلات الإنسان، والإنسان بحسب حرصه على وجوده، وعلى سلامة وجوده، وعلى كمال وجوده، وعلى استمرار وجوده عندئذ يصغي .

أسباب زيادة الرزق :

١ . الاستقامة والتقوى:

أيها الإخوة، تقوى الله عز وجل أحد أكبر الأسباب التي تزيد في الرزق:

﴿ وَالَّذِينَ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَاهُمْ مَاءً
غَدَقًا ﴾

(سورة الجن)

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾

(سورة المائدة الآية: ٦٦)

ويُقاس على هذه الآية ولو أنهم أقاموا القرآن:

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْ
إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ
أَرْجُلِهِمْ ﴾

(سورة المائدة الآية: ٦٦)



وفي خطبة سابقة تحدثت عن موانع الرزق، وهي عشرة.

٢ . صدق التوكل على الله وحسن التسليم له:

واليوم مع سبب آخر يضاف إلى تقوى الله، وهو صدق التوكل عليه وحسن التسليم له.

علاقة التوحيد بالرزق :

الحقيقة الأولى في هذا الموضوع: علاقة التوحيد بالرزق، كلكم يعلم أن الله جل جلاله لحكمة بالغة جعل نظام الكون وفق مبدأ السببية، فجعل لكل نتيجة سبباً، ولكل سبب نتيجة، إلا أن الناس أحياناً بدافع من ضعف توحيدهم يتوهمون أن السبب وحده هو الذي يخلق النتيجة، هذا نوع من أنواع الشرك، لذلك هناك من يأخذ بالأسباب ويعتمد عليها، وينسى مسبب الأسباب، بل يؤلِّه الأسباب كحال أهل الغرب، وهناك من لا يأخذ بها أصلاً كحال أهل الشرق، الغرب حينما أخذ بالأسباب، واعتمد عليها، واكتفى بها، وألَّهها، ونسى الله عز وجل وقع في الشرك الأكبر، والشرق حينما لم يأخذ بالأسباب وقع في المعصية، دائماً وأبداً التطرف سهل، كإنسان وقع ابنه في ذنب، أن يضربه ضرباً مبرحاً يتشفى منه القضية سهلة جداً، أي أب بعيد عن الدين بعيد عن الحكمة وعن الفهم يفعل هذا، أو يتساهل فلا يحاسبه أبداً، لكن البطولة أن يحبك ابنك بقدر ما يخاف منك، هذا الوضع الوسطي الحكيم يحتاج إلى جهد كبير، فأن نأخذ بالأسباب، وأن نؤلِّهها، وأن ننسى الله قضية سهلة جداً، كالعالم الغربي، وألا نأخذ بها، ونتوكل على الله بسذاجة ما بعدها سذاجة أيضاً القضية سهلة، لكن الموقف الكامل أن تأخذ بالأسباب، وكأنها كل شيء، ثم تتوكل على الله، وكأنها ليست بشيء، هذا الموقف الكامل في طلب الرزق، في النجاح بالعمل، في العناية بالصحة، في تربية الأولاد، أن تأخذ بالأسباب، وكأنها كل شيء، وأن تتوكل على الله، وكأنها ليست بشيء.

أيها الإخوة، على الإنسان أن يسعى في طلب الرزق، لكن بالتأكيد لو توهم أن هناك أسباباً تجلب له الرزق، ولو أنها تتناقض مع منهج الله وقع في الشرك الأكبر، ووقع في خطأ لا يتصور، لذلك من ابتغى أمراً بمعصية كان أبعد مما رجا، وأقرب مما اتقى، وأوضح مثل أنك إذا أقرضت قرصاً ربوياً بالحسابات بالآلة الحاسبة وبمنطق الرياضيات يزداد مالك، أقرضت مئة ألف عادت هذه المئة ألف مئة ألف وزيادة بالفائدة، لكن الله عز وجل يقول:

﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا (٢٧٦) ﴾

(سورة البقرة)



وأنت إذا تصدقت قلّ مالك بالحساب والآلة الحاسبة، ومنطق الرياضيات، صدقة تُنقص المال، والربا يزيده، أما الواقع فعكس ذلك، الله عز وجل ينمي المال الذي تصدق منه، بل إن الزكاة سميت زكاة من معنى النمو، فالمال ينمو بالزكاة.

((مَا نَقَصَ مَالٌ عَبْدٍ صَدَقَةً))

[أحمد عن أبي كبشة الأنماري]

((يا عبدي، أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ))

[الترغيب والترهيب بسند صحيح]

((أَنْفِقْ بِلَال، وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا))

[الطبراني في الكبير والبخاري عن أبي هريرة بسند صحيح]

الحسنة بعشرة أمثالها.

والله في هذا المسجد مرة حدثني أخ كريم ميسور توفي ابن عمه الأستاذ الجامعي، فزار أولاده، وقال لهم: دين أبيكم عليّ، لكنه لا يعلم كم الدين، تصور الديون عشرة آلاف إلى عشرين ألفاً، فوجئ أنها ثلاثمئة وثمانون ألفاً فدفعتها، لأن وعد الحر دين، وحدثني عن قصته في صحن المسجد، وبكى، قال: والله بعد أيام جاءني مبلغ من صفقة لبضاعة كاسدة من سنوات طويلة جاء من يشتريها، وكنت آيساً من بيعها، ونصيبي من هذه الصفقة المبلغ الذي دفعته.

والله معي آلاف القصص، هذه واحدة، بمنطق الإيمان إن دفعت صدقة يزداد مالك، بعكس منطق الآلة الحاسبة والرياضيات، بمنطق الإيمان إن أكلت الربا يحق مالك، بعكس الحساب والرياضيات والآلة الحاسبة، فلذلك من ابتغى أمراً بمعصية كان أبعد مما رجا، وأقرب مما اتقى.

دَعِ الْمَالَ الْحَرَامَ وَالْمَشْبُوهَ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْوِضُ عَلَيْكَ خَيْرًا مِنْهُ :

شيء آخر، لحكمة بالغة يعرض عليك مبلغ كبير تحل به كل مشكلاتك، لكن فيه شبهة، وأخذه لا يرضي الله، فالمؤمن الصادق قوي الإيمان يركل هذا العرض بقدمه، ويقول: معاذ الله، إني أخاف الله رب العالمين، والله الذي لا إله إلا هو هذا إيماني، أن زوال الكون أهون على الله من ألا يعوضك خيراً منه بالحلال.

والله أخ كريم حدثني عن قصة، ورجاني أن أنقلها لكم، وقد نقلتها لكم كثيراً، أنه جاءه عرض أرباحه من هذا العرض حوالي مئتي ألف ليرة، لكن تبين أن هذا العرض من أجل صناعة الخمر، فرفضه، الذي طلب منه هذا العرض أغراه بأشياء كثيرة، يقسم بالله العظيم بعد اثنين وعشرين يوماً جاءه عرض أرباح الصفقة الثانية أكثر من مئة ضعف، احفظوا هذا الحديث:



((وما ترك عبداً شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه))

[الجامع الصغير عن ابن عمر]

لذلك الأسباب وحدها لا تكفي، بل لا بد من أن يأذن مسبب الأسباب. الإنسان أحياناً من ضعف توحيده يتوهم أن الرزق بيد فلان، فإذا أرضاه ولو بمعصية الله يزداد رزقه، وإن أغضبه ولو بطاعة الله ينقطع رزقه، الذي يحصل أنك إذا لم تعبأ بغضب زيد، ولا بغضب عبيد وقصدت إرضاء الله عز وجل عندئذ يخضعك الله عز وجل لقانون العناية الإلهية، فيزداد رزقك، مع أن القواعد المستتبطة من حركة الحياة تؤكد أنك ستخسر هذا الرزق، الله عز وجل موجود، وما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، هو الرزاق، ذو القوة المتين.

أول حقيقة في هذا الموضوع ينبغي أن تكسب رزقك من طريق مشروع، لأن ما عند الله لا ينال بمعصية الله، وإذا توهمت أنك إذا أقمت منهج الله عز وجل سوف ينقطع رزقك، أو يقل فهذا وهم من الشيطان:

﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٧٥)

(سورة آل عمران)

((وما ترك عبداً شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه))

[الجامع الصغير عن ابن عمر]

الأخذ بالأسباب والتوكل على الله :

لكن هناك حقيقة، النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

((إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ))

[أبو داود]



ليس هناك عمل، ولا وظيفة، ماذا أفعل ؟ أنا محتاج إلى عمل، إلى دخل، إلى زوج، إلى بيت، لكنك جالس في البيت لا تتحرك، الله عز وجل أمرنا أن نأخذ بالأسباب، ثم نتوكل على رب الأرباب، فترك الأخذ بالأسباب معصية، وأن تأخذ بها وتتسى الله عز وجل شرك، لذلك أعيد وأقول: ينبغي أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء، وأن تتوكل على الله وكأنها ليست بشيء.

الآن اقتربنا من لب الموضوع، معظم المسلمين

يتوهمون التوكل ألا تأخذ بالأسباب، الحقيقة خطيرة أنه لا تناقض إطلاقاً بين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله أبدأ، تأخذ بالأسباب تعبدًا.

هناك مثل صارخ، النبي صلى الله عليه وسلم ماذا فعل ؟ أخذ بالأسباب كلها، اتجه في الهجرة مساحلاً بخلاف الاتجاه نحو المدينة، وقبع في الغار أياماً ثلاثة ليخف عليه الطلب، هياً من يأتيه بالزاد، هياً من يمحو الآثار، هياً من يأتي له بالأخبار، اختار دليلاً رجح فيه الخبرة على الولاء، وكان مشركاً، أخذ بالأسباب كلها، ومع ذلك وصلوا إليه، ما حكمة أنهم وصلوا إليه ؟ ليبين الله لأمته من بعده أنه أخذ بالأسباب تعبدًا، لكنه في حقيقته متوكل على الله، فلما وصلوا إليه، واضطرب سيدنا الصديق، قال له: يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى موطن قدمه لرآنا، قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِأَتَيْنِ اللَّهَ تَائِثُهُمَا))

[متفق عليه]

انظر إلى الموقف المتوازن، أخذ بالأسباب وكأنها كل شيء، ووصلوا إليه فلم يضطرب، هو متوكل. نحن بتطبيقاتنا العملية حينما تسافر تجري مراجعة لمركبتك، مراجعة تامة، العجلات، الزيوت، المكابح، مراجعة تامة، وأنت في أعماق أعماقك موقن أن الله هو المسلم، تقول: يا رب، أنا راجعت المركبة تنفيذاً لأمرك، لكنني متوكل عليك، مستسلم لك، وأنا موقن أنك أنت الحافظ، وأنت المسير، هذا هو الموقف الصحيح.

إذا مرض الابن، أخذه لأمهر طبيب، اشتري له الدواء الجيد، أشرف بنفسي على إعطاء الدواء، ومن أعماق أعماقي أقول: يا رب، أنت الشافي، ولا شفاء إلا شفاءك، أن تجمع بين الأخذ بالأسباب والتوكل على رب الأرباب، لذلك الكلمة الشائعة التي أصبحت مثلاً هي من كلام النبي صلى الله عليه وسلم أن أعرابياً دخل عليه، وترك ناقته بغير رباط، فَعَنَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ يَقُولُ: قَالَ رَجُلٌ:

((يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْقِلْهَا وَاتَّوَكَّلْ، أَوْ أَطْلِفْهَا وَاتَّوَكَّلْ ؟ قَالَ: اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ))

[الترمذي]

خذ بالأسباب وتوكل على الله.

أيها الإخوة، هذا الذي يقوله معظم الناس: اعقل وتوكل، خذ بالأسباب، ثم توكل على رب الأرباب.

هناك حديث يتوهمه بعض المسلمين أنه يريحهم من الأخذ بالأسباب.

((لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ . الطير ماذا فعلت ؟ . تَعْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا))

[أحمد، النسائي، ابن ماجه، الحاكم، وقال الترمذي حسن صحيح]

الطير لم تقبع في عشها، بل تحركت، وتوجهت إلى السوق على أسباب الرزق، فالحديث حجة على من فهمه فهماً خاطئاً، يرزق الله الطير، ولكنها تحركت وطار.

((لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَعْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا))

سيدنا عمر بن الخطاب لقي أناساً من أهل اليمن قال: من أنتم ؟ رآهم يتكفون الناس ويتسولون، قال: من أنتم ؟ قالوا: نحن المتوكلون، وهذا النموذج موجود في كل زمان، ماذا تفعل ؟ الأمر بيده، ترتيب سيدك، قاعد في البيت لا يتحرك ولا يسأل، ولا يبحث عن عمل، الله لم يأذن، حتى يأذن، فقال: كذبتم، المتوكل من ألقى حبة في الأرض، ثم توكل على الله.

أيها الإخوة الكرام، سئل الإمام أحمد عن رجل جلس في بيته أو في المسجد، وقال: لا أعمل شيئاً حتى يأتي رزقي، فقال: هذا الرجل جهل العلم، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((... وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي...))

[أحمد عن ابن عمر]

بين فقر الكسل وفقد القدر وفقر الإنفاق :

وأنا أقول لكم: هناك فقر الكسل، وهذا الفقر مذموم، صاحبه لا يتحرك، ولا ينطلق إلى عمله، ولا يضبط مواعيده، ولا يسجل على دفتره جدول أعماله، هكذا بلا تخطيط، بلا انضباط، بلا نشاط، بلا همة، هذا فقير، لكن هذا فقر مذموم، لا تقل لإنسان يهمل عمله، ولا يداوم، ويؤثر الراحة على العمل، ويقبع في بيته يتوكل، ويرجئ كل شيء، لا تقل له: أنت فقير مسكين، هذا فقره عقاب له، هذا فقر الكسل، ونعوذ بالله من فقر الكسل، لكن هناك فقر القدر، إنسان معه عاهة تمنعه من كسب المال، صاحبه معذور، أما الفقر الذي

صاحبه ممدوح فهو فقر سيدنا الصديق، يا أبا بكر ماذا أبقيت لنفسك؟ قال: الله ورسوله، أنفق كل ماله وفي بعض الروايات أن رجلاً قال :

((يا رسول الله إني أحبك، قال: انظر ما تقول، قال: والله إني أحبك قال: انظر ما تقول، قال: والله إني أحبك، قال: إن كنت صادقاً فيما تقول للفقر أقرب إليك من شرك نعليك))

[ورد في الأثر]

إذا كان معك مال، وأخوك المسلم بحاجة إلى المال هل من المعقول ألاّ تساعده؟ يكون قلبك قاسياً، أنت معك مال احتياطي، وعندك أموال طائلة، ومن حولك أناس يموتون من الجوع، لكنك تبخل عليهم، إذا أنت لا تحب رسول الله، انظر ما تقول؟ إن كنت صادقاً فيما تقول، هنا الفقر يعني أنه لا بد من أن تنفق من مالك، لكن الحقيقة الدقيقة حينما قال الله عز وجل:

﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ (١٩٥) ﴾

(سورة البقرة)

قال: إن لم تنفقوا، إن لم تنفقوا ألقيتم بأيديكم إلى التهلكة، وقال بعض العلماء: أما إذا أنفقتم كل أموالكم أيضاً باستثناء سيدنا الصديق فله خصوصية، ألقيتم بأيديكم إلى التهلكة.

الإنسان الذي لا يعمل، ويدّعي أنه متوكل فهو كاذب، والدليل أنه يخاف أن يعمل فيفتن، يخاف أن يعمل فيحب الدنيا، يخاف أن يعمل فتستهويه الدنيا، إذا لا يعمل، فافقراً قوله تعالى:

﴿ رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾

(سورة النور الآية: ٣٧)

يتاجرون، ويدهم عليا، وينفقون، ويعطون، وهم عند الله أبطال، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((التزموا الرزق في خبايا الأرض))

[الجامع الصغير عن عائشة بسند فيه ضعف]

إذا قامت الساعة والله هذا لحديث يلفت النظر، إذا قامت الساعة انتهى كل شيء.

((إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبَدَأَ أَحَدُكُمْ فِسِيلَةً فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرَسَهَا فَلْيَفْعَلْ))

[رواه أحمد في المسند]

في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى شاباً يصلي في أثناء النهار، قال له:

((من يطعمك؟ قال: أخي، قال: أخوك أعبد منك))

[ورد في الأثر]

أمسك النبي عليه الصلاة والسلام يد عبد الله بن مسعود فرأها خشنة من العمل، رفعها، وقال:

((هذه اليد يحبها الله ورسوله))

[ورد في الأثر]

وسيدنا عمر يقول: << إني أرى الرجل لا حرفة له فيسقط من عيني >>.



أقسم لكم بالله ولا أبالغ الشاب الذي ينطلق إلى عمله باكراً، ويتقن عمله، وينمي خبرته، ويأتي بمال، ثم يتزوج، بالتعبير العامي جبر خاطر فتاة، الفتاة إذا تزوجت نجحت في حياتها، أسس عشاً إسلامياً، جاءه بأولاد فرباهم تربية صالحة، نفعوا الناس من بعده، هل تصدقون أن عمله نوع من العبادة.

أنا أقول دائماً: عملك الذي ترتزق منه، حرفتك، مهنتك، إذا كانت في الأصل مشروعة، إصلاح

كهرباء، إصلاح مركبات، لا شيء عليه، بيع أخشاب، بيع أقمشة، إذا كانت الحرفة مشروعة في الأصل، وسلكت بها الطرق المشروعة، لا فيها كذب، ولا غش، ولا تدليس، ولا احتيال، ولا بيع باطل، ولا بيع ربيوي، وابتغيت منها كفاية نفسك وأهلك، وخدمة المسلمين، ولم تشغلك عن فريضة، ولا عن واجب، كمن يترك أربع صلوات، ويقول: يا سيدي، أليس الشغل عبادة؟ الشغل عوض الصلاة؟! أعوذ بالله!!! ولم تشغلك عن فريضة، ولا عن واجب، وابتغيت خدمة المسلمين، وكفاية نفسك وأهلك، وهذه الحرفة مشروعة صدق ولا أبالغ انقلبت إلى عبادة، لذلك قالوا: عبادات المناق سيئات، وعبادات المؤمن عبادات.

محل التوكل ومحل الأخذ بالأسباب :

أيها الإخوة، ما هو الدليل القطعي على أن التوكل أحد أسباب زيادة الرزق؟ بالمناسبة أين محل التوكل؟ لأن التوكل له محل، أين محل الأخذ بالأسباب؟ وأين محل التوكل؟ محل التوكل القلب، محل الأخذ بالأسباب الجوارح، تنطلق لتعمل، المسلمون اليوم عكسوا المحلّين، يتوكل بجوارحه، ويتمنى بقلبه أن يرزقه الله، هو جالس لا يتحرك، لا يعمل، لا يسأل، وبقلبه يتمنى أن يرزق، وكأن القضية قضية معجزة، والآن المسلمون باعتبار هم مؤمنون والله واعداهم بالنصر في عندهم حلم ساذج أن الله عز وجل يخلق معجزة يدمر إسرائيل، عليك بهم يا رب إنهم لا يعجزونك، أنت ماذا أعدت لهم ألم يقل الله عز وجل:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾

(سورة الأنفال الآية: ٦٠)

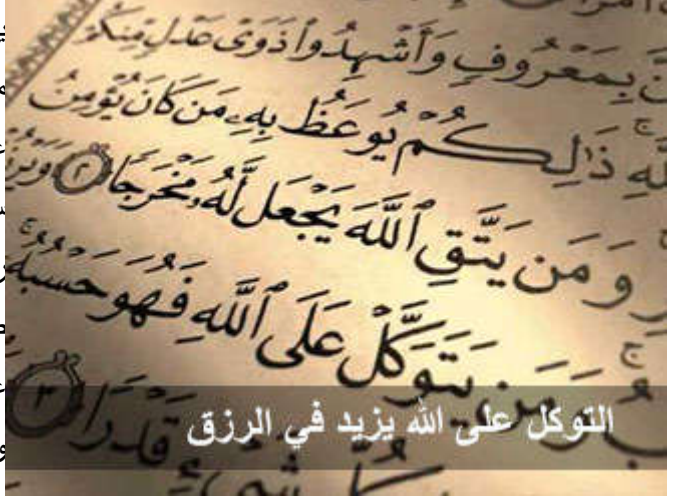
الخطورة أن تجعل قلبك محل تمنياتك وأن تجعل جوارحك محل توكلك، هذا ليس توكل، بل تواكل، التوكل محله القلب والأخذ بالأسباب محلها الجوارح.

الدليل القطعي على أن التوكل على الله يزيد في الرزق قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾

(سورة الطلاق)

يا إخوتي الشباب، هذه الآية لكم، أنتم على مفترق طرق، أنتم مقبلون على الدنيا، أنا أعلم علم اليقين أن كل شاب يحتاج إلى زوج، هذه سنة الله في خلقه، يحتاج إلى مأوى، يحتاج إلى رزق، هذه أهداف ثلاثة، عمل ترتزق منه، وزوجة صالحة تسرك إن نظرت إليها، وتحفظك إذا غبت عنها، وتطيعك إن أمرتها، عمل وزوجة ومأوى، الطريق إليها:



﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ ﴾

وزوال الكون أهون على الله من أن تتقي الله ثم لا تجد ما وعدك الله به من رزق وفير، فضع أملك بالله، وخذ بالأسباب، وتوكل على الله.
الآية:

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾

(سورة الطلاق)

الوقفة عند كلمة: (مخرجًا): متى تبحث عن مخرج ؟ إن رأيت الأبواب كلها مغلقة، قدمت مسابقة فما نجحت، بعثة دراسية ما سُمح لك فيها، قدمت عرضًا لعمل فلم يوافق عليه، الأبواب كلها مغلقة، الله عز وجل يقول:

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾

(سورة الطلاق)

بعد أن رأيت الأبواب كلها مغلقة اطرق باب الله عز وجل:

﴿ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (٣)

(سورة الطلاق)

الشاهد:

﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (٣)

(سورة الطلاق)

وفي الحديث:

((يَنْزِلُ رَبِّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حَتَّى يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ . دَقُّوا الْآنَ قَبْلَ الْفَجْرِ . فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ؟ وَمَنْ يَسْتَعْفِرُنِي فَأَعْفِرَ لَهُ ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ))

[مسلم عن أبي هريرة]

ساعات ما قبل الفجر:

((وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا))

[متفق عليه]

((مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ))

[مسلم]

وعن أبي ذر قال:

((جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتْلُو عَلَيَّ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ حَتَّى فَرَعَ مِنَ الْآيَةِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، لَوْ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ أَخَذُوا بِهَا لَكَفَّتْهُمْ))

[أحمد]

والله إن العالم الإسلامي يعاني من المشكلات ما يعاني، والله يعاني من المشكلات ما لا سبيل إلى وصفه، ويقع في رأس هذه المشكلات الفقر، هناك بلاد إسلامية تعد من أفقر شعوب الأرض، وعندها ثروات لا يعلمها إلا الله:

((يَا أَبَا ذَرٍّ، لَوْ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ أَخَذُوا بِهَا لَكَفَّتْهُمْ، قَالَ: فَجَعَلَ يَتْلُو بِهَا وَيُرِدُّهَا عَلَيَّ حَتَّى نَعَسْتُ))
((من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤونة، ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها))

[رواه الطبراني في الأوسط]

أيها الإخوة الكرام، أحد أكبر أسباب زيادة الرزق التوكل على الله، والتوكل على الله يعني الحركة، مر سيدنا عمر برجل معه جمل أجرب، قال له: >> يا أخ العرب، ما تفعل به ؟ قال: أدعو الله أن يشفيه، قال له: هلا جعلت مع الدعاء قطراناً ؟ <<.

أسأل الطبيب، تحرك.

تصور إنسانا يركب مركبة فتوقفت، خرج من المركبة وهو يقول: يا رب، أنقذنا، لو دعا مليون مرة، نقول له: افتح غطاء المحرك، وانظر أين الخلل، واطلب من الله أن يلهمك أين الخلل، واطلب من الله أن يعينك على إصلاح الخلل، هذا موقف علمي عملي، أما ألا تفعل شيئاً، وتكتفي بالدعاء، فالدعاء من دون سعي لا يقبل، بل هو استهزاء بالدعاء.

أيها الإخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

* * *

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الاقتصاد في المعيشة أفضل من بعض التجارة :

أيها الإخوة الكرام، أنا لا أنكر أن النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت، لأن فيها اضطراباً، وهذا الاضطراب يسكنه أن يكون لك رزق يكفيك، وكأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((اللهم من أحبني فاجعل رزقه كفافاً))

[الجامع الصغير بلفظ: " إن الله إذا أحب عبداً جعل رزقه كفافاً "، وسند عن علي فيه ضعف]



هناك رزق لا يكفي صاحبه، فهو فقير، وهناك رزق فوق ما يكفي صاحبه، فهو مفتون، فقليل يكفيك خير من كثير يطغيك، والاقتصاد في المعيشة أفضل من بعض التجارة، تجارة فيها مهربات بضرية واحدة تخسر كل شيء، تجارة فيها مواد محرمة والاقتصاد في المعيشة أفضل من بعض التجارة، فلذلك لا تبحث عن رزق يطغيك، النبي عليه الصلاة والسلام دعا لمن أحبه بالكفاف، أي برزق يكفيه.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَخْصَنِ الْخَطْمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ))

[أخرجه الترمذي وابن ماجه]

الصحة طيبة، وأن تعرف الله، ومستقيم على أمره، وعندك زوجة سالحة، وأولاد أبرار، ودخل معقول، فقد حيزت لك الدنيا بحذاقيرها، وليس فوق هذه الشروط من شرط مسعد.

لابد من الجمع بين العلاقة الحسنة مع الله ومع عباد الله :

أيها الإخوة، لا بد من أن نجمع بين حسن العلاقة مع الله، وحسن العلاقة مع الأهل والأولاد، والنجاح في العمل والنجاح في الصحة، أربع محطات كبرى أيّ خلل في إحداها ينعكس على بقية المحطات.

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق، ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، ولك الحمد على ما قضيت، نستغفرك و نتوب إليك، اللهم اهدنا لصالح الأعمال لا يهدي لصالحها إلا أنت، اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عن سواك، اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام، وأعز المسلمين، انصر المسلمين في كل مكان، في العراق، وفلسطين، وفي شتى بقاع الأرض يا رب العالمين، اللهم أرنا قدرتك بأعدائك يا أكرم الأكرمين.

والحمد لله رب العالمين